٩٧ ـ هذا مذهبي

عرفت من طبيعة نفسي خصالاً هي التي أستطيع أن أقول أنها كوّنت مذهبي في الحياة: ظمأ الى المعرفة لا سبيل الى تهدئته، وصبر على المكروه، ومغالبة للاحداث، وطموح الى اقتحام المصاعب في غير حساب للعواقب، وجهر بما أرى أنّه الحق مهما يعرّضني له ذلك من الخطوب ثم شعور كأقوى ما يكون الشّعور بالتّضامن الاجتماعيّ يفرض عليّ أن أحبّ للناس ما احبّ لنفسي من الخير .

أحقّق لي هذا المذهب في الحياة ما يطمح الناس اليه من السّعادة التي تنعم بها النّفس، ومن الغبطة التي يطمئن اليها القلب والرّضى الذي يرتاح اليه الضمير؟ ـ هيهات انّ هذه السّعادة لم تقدّر لمثلي في الحياة . وكيف السّبيل الى السّعادة والغبطة والرضى وأنا لم أبلغ شيئاً الاّ طمحت الى شيء آخر أبعد منه منالاً، ولم أحقق أملاً لنفسي وللنّاس الاّ دفعت الى أمل هو أشق منه تحقيقاً، وانّما يسعد النّاس هذه السّعادة حين يتاح لهم حظّ من الفلسفة لم يتح لي، أو يقضي عليهم بفراغ النفوس والقلوب والعقول ولم يقض عليّ بهذا الفراغ ...

طه حسين